بداية السُّول
في تفضيل الرَّسول

صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم

تأليف

العلامة العز عبد العزيز بن عبد السلام السلمي

تحقيق

محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الإسلامي

بداية السول

في تفضيل الرسول

صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

من أنفاس الشيخ الامام

العالم العارف قدوة الأنام

عز الدين ابن عبد السلام

السلمي الشافعي

قدس الله سره

ورفع في الدارين قدره

مقدمة المحقق



إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد ، فإني ما كدت أنتهي من تحقيق رسالة « رفع الأستار عن بطلان أدلة القائلين بفناء النار » للعلامة الصنعاني ، ووضع مقدمتها ، وتقديمها إلى المطبعة ، حتى بادر الأستاذ الغيور الفاضل زهير الشاويش حفظه الله ، فأطلعني على مجلد لطيف من كنوز مكتبته العامرة (رقم ٤٤٣٢) - فيه مجموعة من الرسائل المتنوعة ، يعود تاريخ إحداها إلى القرن السابع الهجري ، بغية دراستها ، واختيار ما قد يكون منها صالحاً للنشر عاجلاً . فوجدت فيها رسالة بعنوان : « بداية السول في تفضيل الرسول » (ﷺ) للإمام الشهير بسلطان العلماء العز ابن عبد السلام السلمي

الشافعي الدمشقي ، فانكببت على التأمل فيها ودراستها دراسة دقيقة فاحصة ، فتبين لي أنها رسالة قيمة ، نافعة جداً للأمة . وذلك . . .

الأول : موضوع الرسالة نفسه ، فإنني أعتقد أن كل مسلم صادق في إسلامه ، لا بد له من أن يتعرف على جملة طيبة من المكارم التي أكرم الله بها نبيه ، والفضائل التي فضله بها على العالمين ، من الجن والناس أجمعين ، بل والملائكة المقربين ، بأدلة ثابتة في الكتاب والسنة ، والنظر السليم فيهما ، والاستنباط منهما ، فإن ذلك مما يزيده ـ بلا شك ـ إيماناً ، وحباً مخلصاً للنبي (ﷺ) ، هذا الحب الذي هو شرط أساسي أن يستقر في قلب المؤمن مقروناً بحب الله تعالى الذي تفضل بإرساله إلينا ، وأمتن ـ وله المنَّة ـ بذلك علينا ، فقال تبارك وتعالى :

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين﴾ .

ولذلك قال (صلىَّ الله عليه وسلم) .

« ثلاث من كن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان : من كان اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَفَ في النار »[1] .

---

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما عن أنس ، وهو مخرج في « فقه السيرة » (٢١١) =

ثم لا يزال المحب يرتقي فيه حتى يصير النبي (ﷺ) أحب إليه من كل عزيز لديه، كما قال (ﷺ):

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَ إليه من والده، وولده، والناس أجمعين»[1].

واعلم أيها الأخ المسلم: أنه لا يمكن لأحد أن يرقى إلى هذه المنزلة من الحب لله ورسوله؛ إلا بتوحيد الله تعالى في عبادته دون سواه، وبإفراد النبي (ﷺ) بالاتباع دون غيره من عباد الله، لقوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحببكم الله﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام:

«لا والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»[2].

= و«الروض النضير» (رقم ٥٢)، وهو في «مختصر البخاري» برقم (١٣).

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٢ - مختصره) ومسلم (١/ ٤٩) والنسائي (ص ٧٥٠ - هندية) وابن ماجه (٦٧) وأحمد (٣/١٧٧، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨) من حديث أنس، والبخاري (رقم ١١) والنسائي من حديث أبي هريزة دون قوله: «والناس أجمعين» وزاد في أوله: «والذي نفسي بيده».

(٢) رواه الدارمي (١/١١٥ - ١١٦) وأحمد (٣/٣٨٧) وأبو نعيم (ص ١٥)، من حديث جابر بن عبدالله، وهو حديث حسن كما بينته في «المشكاة» (١٧٧) وغيره.

قلت : فإذا كان مثل موسى كليم الله لا يسعه أن يتبع غير النبي (ﷺ) فهل يسع ذلك غيره؟ فهذا من الأدلة القاطعة على وجوب إفراد النبي (ﷺ) في الاتباع ، وهو من لوازم شهادة (أن محمداً رسول الله) ، ولذلك جعل الله تبارك وتعالى في الآية المتقدمة اتباعه (ﷺ) دون سواه دليلاً على حب الله إياه ، ومما لا شك فيه أن من أحبه الله كان الله معه في كل شيء كما في الحديث القدسي الصحيح : « وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويدَه التي يبطش بها ، ورجلَه التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه... »[1] .

وإذا كانت هذه العناية الإلهية إنما هي بعبده المحبوب من الله ، كان واجباً على كل مسلم أن يتخذ السبب الذي يجعله محبوباً عند الله ، ألا وهو اتباع رسول الله (ﷺ) دون سواه ، وبذلك فقط يحظى بالعناية الخاصة من مولاه تبارك وتعالى ، ألست ترى أنه لا سبيل إلى معرفة الفرائض وتمييزها عن النوافل إلا باتباعه (ﷺ) وحده؟

وإن مما لا شك فيه أن المسلم كلما كان بسيرة رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري وغيره ، وهو مخرج في « الصحيحة » (١٦٤٠) وغيره .

(ﷺ) أعلم، وبمحاسنه وفضائله أعرف، كان حبه إياه أكثر، واتباعه إياه أوسع وأشمل.

ومساعدة مني لإخواني المسلمين على ذلك اندفعت إلى تحقيق هذه الرسالة المباركة ونشرها. ولا سيما وقد وجد المستعد للقيام على طبعها، ألا وهو الاستاذ زهير الشاويش حفظنا الله واياه من شرور أعداء الله، وَتلك هي غاية المؤلف نفسه من تأليفها، كما أشعرنا بذلك في ختمه إياها - ونحن مؤمنين عليه - الا وهو قوله:

« ونحن نسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يوفقنا لاتباع رسوله في سننه وطريقته، وجميع أخلاقه الظاهرة والباطنة، وأن يجعلنا من أحزابه وأنصاره، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ».

قلت: وفي الحقيقة إن كل هدفي من هذه الحياة، بعد القيام بما فرض الله علي من الواجبات والحقوق، إنما هو تعريف المسلمين تدريساً ومحاضرة وتأليفاً بسيرة النبي (ﷺ) الصحيحة من جميع نواحيها حسب استطاعتي، وحضّهم على أن يتخذوه القدوة الوحيدة لهم، كما رغب الله تعالى منهم في مثل قوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو اللهّ واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾. وفي ذلك سعادتهم في الدنيا والأخرى.

ولقد كان من آخر ذلك قبل سنة تقريباً أن اختصرت كتاب «الشمائل المحمدية» للامام الترمذي، وميزت في التعليق عليه بين أحاديثه الصحيحة والضعيفة وأنا في مهجري الجديد (عَمان)، على نوبات متقطعة، لانهماكي في شراء أرض وبناء دار لي عليها، وبعد أن سكنتها ببضعة أشهر، فوجئت بما اضطرني إلى تركها ومن فيها من العيال، مسافراً إلى مهجري الأول (دمشق) حيث أقمت يومين، ومنها إلى (لبنان) على ما فيه من الهرج والمرج وصعوبة الوصول.

فلما وجدت فيه شيئاً من الاستقرار النفسي، بدأت استأنف شيئاً فشيئاً من نشاطي العلمي مطالعة وتأليفاً في مكتبة الأستاذ زهير الشاويش جزاه الله خيراً، وفيها أكثر المصادر التي تلزمني، وكثير مما ليس في مكتبتي في (دمشق)، فاستعضت عنها بالخير الذي وجدته في مكتبة الأخ زهير أحسن الله إليه وحفظه من كل ضير، وكان من ذلك هذه الرسالة، وما يسر الله من تحقيق لها، وتقديم بين يديها.

ولقد مضيت في إتمامها على الرغم من أنني فوجئت في أثناء ذلك بخبر أزعجني جداً، وهو وفاة أخي الكبير محمد ناجي أبو أحمد وهو في موسم الحج، فقد مضيت في إتمامها مترحماً عليه صابراً على مصيبتي به، فقد مات وهو خير إخوتي، وأخلصهم لي، وأشدهم استجابة لدعوتي، وغيرة عليها، وحماساً في الدعوة

إليها ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وصبرنا وسائر إخوتي وأولاده وأحفاده وأصهرته على مصابهم به ، وجعلهم خير خلف لخير سلف ، وحشرنا جميعاً معه تحت لواء سيد ولد آدم محمد (ﷺ) ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها ، اللهم اغفر لأبي أحمد ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونور له فيه[1] .

لقد استطردت كثيراً عما كنت في صدده ، والانسان في كل ما يأتي ويذر تحت مشيئة الله وألطافه ، فلنعد إلى ما كنا فيه ، فأقول :

إذا عرفت ما سبق بيانه أن حب الله لا ينال إلا باتباع نبيه (ﷺ) فاحرص إذاً على اتباع سنته كل الحرص ، وأنفق في سبيل ذلك كل جهاد ونفس ، ولا تغتر بما عليه بعض الضالين المغرورين ، من المتصوفة واللاهين ، الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، ونشيداً ونغماً ، يزعمون أنهم بذلك يرضون محمداً (ﷺ) ؛ بما يسمونه بالأناشيد الدينية ، ويكثرون منها في أذكارهم واجتماعاتهم ، التي يعقدونها في بعض الاعياد المبدعية ، كعيد المولد ونحوه ، فإنهم ـ والله ـ لفي ضلال مبين ، وعن الحق

---

(١) من دعائه (ﷺ) لأبي سلمة رضي الله عنه حين مات .

متنكبين ، كيف لا وهم قد خلطوا الدين الحق باللهو الباطل ، وقلدوا المغنين الماجنين ، في موازينهم وأنغامهم الموسيقية ، ويلتزمون في كل ذلك طرائقهم المميتة للقلوب ، الصادة عن ذكر الله وتلاوة القرآن ، والنبي (ﷺ) يقول : « ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن » لا سيما وأنهم قد يضيفون إلى ذلك بعض الآلات الموسيقية ، أو التصفيق بالأكف لتتم المشابهة بين الفريقين ، ولذلك تذيعها بعض الاذاعات الأجنبية ، فضلا عن الإذاعات العربية ، إرضاء للناس باسم الذكر أو الأناشيد الدينية! ومن المؤسف أن بعض الإذاعات الإسلامية بدأت تحذو حذوها . والله المستعان .

وقد بلغني ان بعض محطات الرائي (التلفزيون) عرضت شيئاً من هذا على انه الاسلام الذي يدعو اليه من سمتهم بالمسلمين الحنفاء .

وإن نسيت فلن أنسى أنني حضرت قديماً في مركز لبعض الجماعات الاسلامية ، وإذا بي أفاجأ بسماع صوت تلحين للأذان بآلة موسيقية! فسألت عن الخبر؟فقيل : هؤلاء بعض الشباب المسلم من بعض البلاد العربية نزلوا ضيوفاً على الجماعة ، وأحدهم يسمعهم الأذان ملحناً تلحيناً موسيقياً ، وهذا مما نسمعه اليوم من بعض الإذاعات الاسلامية كثيرا وما أحسن ما قاله ابن القيم

رحمه الله بهذه المناسبة في «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (٢٢٦/١):

برئنا إلى الله من معشر ... بهم مرض من سماع الغنا
وكم قلت: يا قوم أنتم على ... شفا جرف ما به من بنا
شفـــا جرف تحت هوة ... إلى درك كم به من عَنا
وتكرار في النصح منا لهم ... لنعـــذر فيهم إلى ربنـــا
فلما استهانوا بتنبيهنا ... رجعنا إلى الله في أمرنا
فعشنا على سنة المصطفى ... وماتوا على تنتنا تنتنا

وقد تنبه أخيراً بعض الشباب المسلم إلى ما في تلك الأناشيد من المنكرات والانحرافات عن الشريعة الاسلامية، فعدلوا عنها إلى أناشيد أخرى لا تخلو من حماس وقوة وتذكير بالبطولات الاسلامية، ولكنهم قد يلتزمون فيها أيضاً بعض الألحان الموسيقية وبعضهم قد يدخل إليها شيئاً من آلات الطرب كالدف ونحوه.

وقد سمعت بأذني من بعض التسجيلات شيئاً من ذلك، وتكلمت معهم بما يوجبه الدين من النصح لهم وتذكيرهم بأن ذلك لا يجوز، لا سيما وأن الكثير منهم قد جعلوا الاستماع إليها هِجِّيرهم وديدنهم، وشغلهم ذلك عن التفرغ لتلاوة القرآن أو الاستماع إليها.

وهذا كله من مفاسد الانحراف عن السلف فإني أقطع بأن

هـذا لم يكن من عـادتهم ، وإن كـانوا يتنـاشدون الاشعـار في الحروب والمعارك أحياناً ، فهذا شيء ، وأن يجعل ذلك مع ما فيه من التلحين الموسيقي عادة تضاهي عادة أهل الفسق واللهو ، فهو شيء آخر ، لا يخفى على أهل العلم والنظر . ورحم الله من قال :

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

والخلاصة : إنني أنصح كل من قرأ هذه الرسالة ، أن لا يقف عند العلم بما فيها وإنما يتبع ذلك بالثمرة المرجوة منها ، ألا وهي إخلاص الاتباع لهذا الرسول العظيم ، المستلزم لحب الله إياه ، ومغفرته لذنوبه ، (وذلك هو الفوز العظيم) . نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم .

الوجه الثاني : أنها رسالة لطيفة جداً ، جمع فيها المؤلف رحمه الله تعالى أكثر من أربعين فضيلة من فضائل النبي (ﷺ) ، وما أكثرها ، وقد استقصاها السيوطي رحمه الله في « الخصائص الكبرى » في ثلاث مجلدات كبار ، قسم كبير منها من « دلائل النبوة » لأبي نعيم الأصبهاني ، و« دلائل النبوة » للإمام البيهقي ، وفي هذه الكتب الثلاثة وبخاصة الأول منها ، كثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، بخلاف رسالة المؤلف هذه فإنها نخبة ممتازة ، ليس فيها ـ بفضل الله ـ ما يمكن القطع بضعفه ، بل جله إن لم أقل : كله ، صحيح ثابت كما سيتبين للقارىء الكريم

من تخريجنا لها. وهي مزية قلما تتحقق في كتاب.

وقد جرى فيها المؤلف رحمه الله تعالى على الإيجاز في العبارة، وبخاصة حين يكون النص في الفضيلة مصرحاً بها في الكتاب والسنة، ويبدو لي أنه ألقاها على بعض تلامذته ارتجالاً كما هي عادة كثير من العلماء الكبار أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإنه يعلق الأحاديث ولا يخرجها، ولا يسوقها بتمامها، وإنما يذكر موضع الشاهد في الحديث، وأحياناً يذكر معناه، دون أن يشير إلى كونه حديثاً نبوياً، أو أثراً عن بعض الصحابة.

من أجل ذلك كان أهم ما قمت به في التعليق عليها، إنما هو تخريج أحاديثها. واستكمال ألفاظها، إلا الأحاديث الطوال منها، فإني اكتفيت بالإشارة إليها، وتخريجها بإيجاز إلا نادراً، لأني ما رأيت أن أتوسع في الحواشي بإيرادها بطولها كحديث الشفاعة مثلا.

وبذلك، تمت الاستفادة من الرسالة بإذن الله تعالى، وصار الواقف عليها على ثقة من ثبوت الفضائل الواردة فيها لنبينا صلوات الله وسلامه عليه.

فالحمد الله الذي جعلنا من أمة إجابته، ونسأله تعالى أن يرزقنا الاخلاص له في اتباعه، وأن يحشرنا معه في زمرة إخوانه الذين تمنى (ﷺ) أن يراهم، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلم):

« وددت أنا قد رأينا إخواننا . قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال : أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»[1] .

وهم الذين وصفهم في حديث آخر له :

« من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي ، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله »[2] .

الوجه الثالث: أن أحاديث الرسالة كلها ثابتة إن شاء الله تعالى كما سبق ذكره ، وهذه مزية لها قلما تحقق في غيرها ، لا سيما في مثل هذا الموضوع : (الفضائلي) ، فإنهم جروا على التساهل في رواية الأحاديث فيها ، وفي الترغيب والترهيب أيضاً ، وإن كان لنا رأي في ذلك شرحته في مقدمتي لكتابي « صحيح الترغيب والترهيب » للحافظ المنذري[3] ، ولا مجال الآن للبحث فيه هنا ، ولكني أقول :

إن من مساوىء التساهل المذكور ، أن يؤدي بالمتساهل إلى رواية الأحاديث الموضوعة أيضاً من حيث يدري أو لا يدري ، فإن هذا هو الواقع ، والأمثلة لدي كثيرة جدا ، ولكني لا أريد

---

(١) أخرجه مسلم (١/١٥٠) وغيره ، وهو مخرج في « التعليق الرغيب على الترغيب والترهيب » (١/٩٣) .

(٢) رواه مسلم أيضاً (٨/١٤٥) ، وهو مخرج في « الصحيحة » (١٤١٨) ، وعزاه السيوطي في « الخصائص » (٣/٢٧) للحاكم وحده فقصَّر .

(٣) وقد صدر والحمد لله الجزء الأول منه في بيروت على الأوفست بإشراف أخي الأستاذ زهير بعد أن نضدته في دمشق .

أن أذهب بالقارىء بعيداً ، فهذا هو الحافظ السيوطي - عفا الله عنا وعنه - فإن كتابه « الخصائص الكبرى » محشو بالأحاديث الموضوعة والمكذوبة ، فضلاً عن الأحاديث الضعيفة والمنكرة ، على الرغم من قوله في المقدمة (٨/١) :

« أوردت فيه كل ما ورد ، ونزهته عن الأخبار الموضوعة وما يُرَدُّ » .

ولقد أصابه في كتابه هذا ، مثل ما أصابه في كتابه « الجامع الصغير من حديث البشير النذير » ، فقد وقع عشرات بل مئات الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، مع قوله في مقدمته أيضاً :

« وصنته عما تفرد به وضاع أو كذاب »!

ثم تبين للباحثين المحققين أنه لم ينهض بهذه الصيانة المزعومة ، الأمر الذي حملني على تقسيم كتابه إلى قسمين « صحيح الجامع » و« ضعيف الجامع » ، أوردت في الثاني منهما ما دون الحسن ولو لغيره ، من الأنواع الثلاثة : الضعيف ، والضعيف جدا ، والموضوع ، فكان مجموع ذلك قرابة (٦٤٥٠) حديثاً ، اي نحو نصف الكتاب مع ضم الزيادة إليه من ذيله الذي كان هو نفسه استدركه عليه ، فمن شاء التفصيل فليراجع المقدمة المطبوعة مع كل من الكتابين « الصحيح » و« الضعيف » يرَ العجب العجاب .

ولما كان الأمر كما قال القائل: وبضدها تتبين الأشياء، فقد رأيت أن اقدم الى القراء نماذج قليلة مما سود بها السيوطي « خصائصه » ، ولا سيما وفي ذلك تنبيهاً لمن قد يكون غافلاً عنها من القراء لكتابه أو غيره.

لقد ذكر السيوطي المؤلف في أبواب كثيرة من كتابه ونقل كلامه من هذه الرسالة دون ان يسميها ، وقد نبهت على ذلك عند بعض الفقرات ، فأذكر الآن بعض الأحاديث الموضوعة التي نـزّه المؤلف منها رسالته ، وسود السيوطي بها كتابه:

الأول: ذكر تحت الفصل الآتي برقم (١٣) قصة إحياء أم النبي (ﷺ) وإيمانها به (ج ٢ ص ٢٨٠) ، وهي قصة موضوعة باطلة عند المحققين من العلماء كابن الجوزي وابن تيمية وغيرهم.

ومما يبطلها قوله (ﷺ) لمن سأله عن أبيه فقال له: « إن أبي وأباك في النار ». رواه مسلم وغيره ، وهو حديث صحيح ، رغم تعنت السيوطي الذي أعلّه في بعض رسائله بما لا يقدح ، ولا سيما وله بعض الشواهد التي تكشف أنه ليس من الممكن تضعيفه لولا الهوى ، ولذلك لما غلب ذلك عليه لم يورده في « الجامع الصغير » ولا في « الزيادة عليه » نسأل الله السلامة. وما أحسن ما قاله الشيخ عبد الرحمن اليماني رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث ،

وقد أورده الشوكاني في « الأحاديث الموضوعة » (ص٣٢٢)[1] :

« كثيراً ما تجمح المحبة ببعض الناس فتتخطى الحجة ويحاربها ، ومن وفق علم أن ذلك مناف للمحبة المشروعة والله المستعان .» .

الثاني : ذكر تحت الفصل (١٦) رواية ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعاً :

« قال لي ربي عز وجل : نحلت ابراهيم خلتي ، وكلمت موسى تكليما ، وأعطيتك يا محمد خلتي ومحبتي ، وكلمتك كفاحا » (٣ ص١٥١) وهو موضوع . قال الدكتور الشيخ خليل الهراس في تعليقه عليه :

« قال في « اللآلي » : لا يصح ، تفرد به مسلمة وهو متروك » .

قلت : ولو صح فكان نصاً على أن النبي (ﷺ) قد رأى ربه ليلة الإسراء على الاقل ، ولم يبق ثمة مجال لاختلاف لأن معنى (كفاحاً) أي مواجهة ليس بينه وبين الله حجاب كما في « النهاية » مادة (كفح) . وكأن الدكتور رحمه الله لم ينتبه لهذا المعنى ، فعلق على كلمة (الإسراء) بقوله (٣/١١١) : « ففي هذه الليلة كلّم الله عز وجل نبينا (ﷺ) كفاحاً من غير واسطة

---

(١) من طبع المكتب الاسلامي ...

ملك ». فخفي عليه ما ذكرناه عن ابن الأثير. وحينئذ فالحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمَه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب...﴾ وبه احتجت عائشة رضي الله عنها على نفي الرؤية، وهو الحق.

الثالث: ثم ذكر السيوطي حديثاً آخر عقبه من رواية ابن عساكر أيضاً عن سلمان، وفيه:

« وإن كنتُ كلمت موسى في الأرض تكليماً، فقد كلمتك في السماء،.... ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرمتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا ».

وهذا باطل واضح البطلان، لمخالفته قوله تعالى في القرآن: ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون﴾.

ومن العجيب ان السيوطي نفسه حكم بوضعه في « اللآلي » (٢٧٢/١ - الطبعة المصرية).

الرابع: ذكر عقب الفصل (٣٥) حديث:

« إنما حر جهنم على أمتي كحر الحمام ».

وهو حديث موضوع كما تراه في « الأحاديث الضعيفة » (٧١٠)، وهو مما فات الشيخ الهراس أن ينبه عليه.

الخامس: لقد صان المؤلف رحمه الله الفضيلة الآتية في الفصل (٣٦) عن إيراد الحديث المشهور على الألسنة:

« اختلاف أمتي رحمة »! وذلك لأنه مما لا سند له ، كما ذكر ذلك غير ما واحد من الأجلة ، على ما هو مبين في « الأحاديث الضعيفة » (٥٧) ، وأما السيوطي فقد أبى إلا أن يسوّد به كتابه (٢١١/٣) ، وكذلك سوَّد به « جامعه »!!

وأما الأحاديث الأخرى التي بثها في تضاعيف الأبواب فهي كثيرة لا تحصى ، فحسبنا الآن أمثلة منها من مجلداته الثلاثة :

المجلد الأول : ص ١٧ ـ لما اقترف آدم الخطيئة .

١٨ و١٩ ـ كتابة اسمه (ﷺ) على العرش .

٢١ ـ أذان آدم بالهند .

١٥١ ـ كان يرى في الظلمة .

١٧٣ ـ أكل الهريسة فأعطي قوة أربعين في الجماع .

١٧٧ ـ ابتلاع الأرض ما يخرج منه (ﷺ) .

المجلد الثاني :الصفحة ١١١ طي جبريل الأرض له ليصلي على جنازة معاوية الليثي .

٢٧٥ ـ معجزة الضب . وزعم ان له طريقاً أخرى عند أبي نُعيم ، وهو عنده (ص ٣٢١) من الطريق الأولى .

٣٤٨ ـ اجتماعه بالخضر وعيسى ورجل من عاد!

المجلد الثالث : الصفحة ١٢٠ ـ رد الشمس لعلي .

١٥٣ ـ «إن الله ... أعطاني الرؤية ....».

١٦٧ ـ لأوثرن حبيبي على خليلي.

١٧١ ـ إن الله أيدني بأربعة.

١٧٤ ـ من ولد له ثلاثة فلم يسمِّ أحدهم محمداً فقد جهل.

١٨١ ـ اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلي فأسكني في أحب البقاع إليك!

٢٤١ ـ غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة.

٣٤٩ ـ ليصلِّ علي بعد الوضوء.

٣٦٨ ـ اللهم ارحم خلفائي

٣٨٤ ـ تعزية الخضر بالنبي (ﷺ).

٤٠٣ ـ من صلى علي عند قبري سمعته.

٤٠٥ ـ علمي بعد موتي كعلمي في الحياة.

تلك بعض الأحاديث الموضوعة في «خصائص السيوطي»، وهي كلها أو جلها على الأقل مخرجة عندي، فأشير إلى ما كان منها في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» على تسلسلها هنا.

(٢٥ و٣٤١ و٤١٢٦ و٩٧١ و١٦٠٥ و٣٠٥٤ و٤٠٣٧ و٢٦٨٨ و٢٦٣٤ و٨٥٧ و٥٢٠٤ و٣٠٣).

وأما الأحاديث الضعيفة فيه والمنكرة فهي كثيرة جداً . ولا مجال الآن لضرب الأمثلة عليها ، فإني مسافر غداً إن شاء الله تعالى إلى بعض البلاد العربية ، ولا بد لانهاء هذه المقدمة وتقديمها إلى المطبعة قبل السفر ، وليس أمامي إلا بضع ساعات من الوقت ، فلا بد من صرفها لما هو الأهم ، فأقول :

ثم إن السيوطي عفا الله عنا وعنه لم يقنع بتسويد صفحات كتابه بتلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة حتى أضاف إلى ذهب أي يحكي ما هو مخالف للكتاب والسنة ، فهو يقول تحت (فضل) (١٦٠/٣) :

« ذهب بعضهم إلى أنه (ﷺ) أوتي علم الخمس أيضاً ، وَعَلِمَ وقت الساعة والروح ، وأنه أمر بكتم ذلك »!

وقد علق عليه الدكتور خليل رحمه الله بقوله :

« لا دليل لهذا البعض ، وهو مكذب بصريح القرآن ، نعوذ بالله من الغلو الذي يخرج من الإيمان » .

ولقد صدق رحمه الله ، كما أنه انتقد السيوطي في كثير من مبالغاته وأحاديثه ، وفاته الكثير ، كما أنه جانبه الصواب في بعض ما انتقد ، ذلك لأنه كان يحكم عقله اكثر من علمه في ذلك ، ويبدو للباحث أنه لم يكن له عناية كافية في هذا الشأن ، فانظر إليه مثلاً يتعقب السيوطي في رواية ذكرها من طريق سعيد بن

أبي سعيد عن أبي هريرة... وقال (٢/٢٥٠): «إسناده». فيقول الدكتور:

«لا ندري على أي شيء استند المؤلف في الحكم بصحة هذا الحديث مع أن راويه سعيد بن أبي سعيد، قال في «الميزان»: سعيد ابن سعيد الزبيدي عن هشام بن عروة، وعنه بقية، لا يعرف، وأحاديثه ساقطة»!

فأقول: تأمل كيف توهم أن سعيداً هذا هو الزبيدي الذي يروي عن هشام، أي يروي عن تابع تابعي، ولم يدر أنه سعيد ابن أبي سعيد المقبري الذي يروي عن أبي هريرة ويكثر عنه! ولو أنه كان يحسن المراجعة في كتب التراجم لعرف من «الميزان» نفسه وهمه، لأنه قد ترجم للمقبري قبل الزبيدي بترجمة، وذكر أنه صاحب أبي هريرة!

وقال في حديث آخر (٣/٢٢):

«لا نظن هذا الحديث صحيحاً، وليس هو في شيء من الكتب الستة»! وطلاب هذا العلم لا يخفى عليهم أنه ليس من شرط الصحيح أن يكون في شيء من الكتب، كما لا يلزم من وجوه في شيء ما أن يكون صحيحاً.

وقال (٣/٣٩) في حديث: «يكون قوم في آخر الزمان

يخضبون بهذا السواد كحواصل الطيور لا يريحون رائحة الجنة » :

« قال في « الفوائد » : قال القزويني : موضوع ، وقد رواه أحمد وأبو داود وغيرهما »!

وخفي عليه أن الحديث صحيح ، وان العلماء ردوا على القزويني قوله هذا كما فعل الحافظ ابن حجر في رده عليه في رميه أحاديث في « المصابيح » بالوضع منها هذا ، فانظره في آخر « المشكاة » (١٧٨٢/٣) ، وراجع له « غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام » (١٠٧) .

إلى غير ذلك من الأمثلة توجب في اعتقادي على بعض أهل العلم والمعرفة بطرق نقد الأحاديث على أصول علم الحديث وقواعده دون استسلام للهوى ، أو اعتماد على عقل شخص ما - أن يبادر الى كتاب السيوطي « الخصائص الكبرى » ، فيصفيه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، والآراء الخاصة ، والأقوال المنكرة ، ثم يقدمه إلى الناس عسلاً مصفى ، كما فعل الامام العز برسالته هذه رحمه الله .

وقبل أن أختم الكلام أريد أن أبين شيئاً قد يحسن بيانه ؛ وهو أني رأيت السيوطي قد نقل عن المؤلف فقرتين أخريين من كلامه :

الأولى: من خصائصه أنه أخبر الله بالمغفرة، ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم، بدليل قولهم في الموقف: نفسي نفسي.

والأخرى: من خصائصه أن له الجمع في الضمير بينه وبين ربه سبحانه، لقوله: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»، وقوله: «ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه»[١]، وذلك ممتنع على غيره، لقوله للخطيب حين قال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى»: «بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله». قالوا: إنما امتنع من غيره دونه، لأن غيره إذا جمع أوهم إطلاقه التسوية بخلافه هو، فان منصبه لا يتطرق إليه إيهام بذلك».

قلت: فلا أدري أوقع هذان النصفان في نسخة من نسخ الرسالة في يد السيوطي، أم هو نقلهما من كتاب آخر للمؤلف؟

هذا وبينا أنا على وشك الإنتهاء من هذه المقدمة، وبعد الفراغ من تخريج الأحاديث وتحقيق الرسالة، إذا بالاستاذ زهير حفظه الله يفاجئني بنسخة مطبوعة منها في مصر، طبعة الشرق بتعليق الشيخ أبو الفضل عبد الله بن محمد الصديق

---

(١) رواه أبو داود بسند ضعيف كما هو مبين في رسالتي: «خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه». وهي طبع المكتب الإسلامي.

الغمـاري المغربي ، فقرأتهـا واستفـدت منهـا تصحيـح بعـض الأخطاء التي وقعت في مخطوطتنا ، وصححتها في التعليق ، فجاء كل ذلك مطابقاً للمطبوعة ، وقد وقع في هذه خطأ أو سقط فأحسن من الفقرة (١٣) (ص ٢٣ - منها) ، ألا وهواسمه عيسى عليه السلام ، فأفسد المعنى ، مع أنه في تعليقه عليه شرح الفقرة على الصواب ، وذكر فيه عيسى صراحة ، فهو خطأ مطبعي.

إلا أنني خرجت من تلك الدراسة بملاحظات حول بعض تعليقاته ، لعله من المفيد بيانها فأقول :

أولاً : لقد جرى الشيخ في تخريج الأحاديث على سنن جمهور المخرجين ، فهو لا يعنى - إلا نادراً - ببيان مرتبة الأسانيد من الصحة والضعف ، بل ولا الأحاديث ، وهذا ليس من شأن المتمكن في هذا العلم الشريف ، إذ أن ثمرة التخريج إنما هي معرفة مرتبة الأحاديث من اسانيدها ، ولذلك قالوا : « الاسناد من الدين ، لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » ، فهو وسيلة وليس بغاية ، فمن اشتغل به دونها ، فما مثله إلا كمثل الرجل يتوضأ للصلاة ثم لا يصليها! فانظر منه (ص٩ ، ١٠ ، ١٢ - ١٣ ، ٢٠ - ٢١ ، ٢٢ ، ٣٣).

ثانياً رأيته يعتمد على تحسين الترمذي ، وظني به أنه تعلم أنه متساهل فيه كما صرح بذلك الذهبي وغيره من الحفاظ النقاد ،

ولذلك فلا ينبغي للعارف بهذا العلم الشريف أن يسكت عن تحسينه، بل لا بد له من التصريح بتأييده أو نقده، حسب واقع إسناده، فإذا كان إسناده عنده ثابتاً صرح به، وإن لم يصح نظر، فإن وجد له طريقاً آخر أو شاهداً يتقوى به ذكرها أو أشار إليها. وإلا صرح بضعفه، وهذا مما يجب شرعاً لقوله (ﷺ): «الدين النصيحة، لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم».

رواه مسلم. وقد رأيته فعل ذلك أحيانا.

ثالثا: إهماله تخريج بعض الأحاديث، ولعل ذلك كان منه سهوا، كحديث: شطر الجنة في الفقرة (١٤). مع كونه في «الصحيحين» كما سترى. ولقوله (ﷺ) في الفقرة (١٧): «... ونحن أول من يدخل الجنة»، فإنه لم يخرجه مع كونه في مسلم من حديث أبي هريرة، ومع انه خرج الطرف الذي قبله وعزاه لحديث حذيفة في صحيح مسلم، وهو عنده مقرون بأبي هريرة كما ستراه هناك إن شاء الله تعالى.

رابعاً: يعزو الحديث لغير المشاهير من أصحاب السنن وغيرهم ممَّن ألف في «الصحيح»، وهذا مخالف لاصطلاح العلماء، فهو لما خرج الحديث الأول: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» عزاه لابن أبي عاصم في «الأدب»! فمن الذي يستطيع أن يقوله من المشتغلين بهذا العلم فضلاً عن غيرهم؟ مع ما في ذلك من الابتعاد

بالقارىء عن التمكن من مراجعة إسناده عند اللزوم ، ولا سيماً وهو قد سكت عنه ، وبخاصة أنه رواه من هو أشهر من ابن أبي عاصم مثل الترمذي وابن حبان كما ستراه في تخريجنا إياه ، وإنما يصح مثل هذا العزو عند أهل العلم مقروناً مع من هم أشهر منه » أو لغير ذلك من الفوائد كأن يكون إسناده أصح من اسنادهم ، ومع ذلك لا بد من الإشارة على الأقل إليهم وخاصة إن كانوا من أهل « الصحيح » كابن حبان فإنه ممن رواه في « صحيحه » . بل إن الشيخ قد أغرب أكثر مما سبق وحين عزا حديث السدرة المشار إليه في الفقرة الآتية (١٦) للنسائي وابن أبي حاتم ، وهو في « الصحيحين » كما سيأتي (ص؟) إن شاء الله تعالى .

خامساً : قال في تخريج حديث الفقرة (١٤) : « الخلق كلهم عيال الله . . . » :

« وإسناد حديث ابن مسعود جيد »!

فأقول : كلا ، فإن فيه من ضعف جداً ، وهو عمير أبو هارون القرشي وهو متروك كما قال الهيتمي في « مجمع الزوائد » (١٩١/٨) ، وانظر تعليقنا الآتي عليه (ص ٤٤) .

ونحو هذا أنه ذكر حديث عائشة في « المستدرك » بلفظ : « أنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب » ، فقال (ص ٩) : « وهو حديث ضعيف ، خلافاً لقول الذهبي : إنه موضوع » . وهذا

تبجح بارد ، وتطاول على الحافظ الذهبي بدون مبرر ، لأن مدار الحديث على حسين بن علوان وعمر الوجيهي وغيرهما من الوضاعين ، وقد أقر الحافظ العسقلاني الذهبي على وضعه ، فانظر « لسان الميزان » (٢٨٩/٤ ـ ٢٩٠) ، وفي ظني أن ابن تيمية أيضاً قال بوضعه في كتابه الحجة « منهاج السنة » ، ولا وقت عندي الآن لمراجعته فإني على سفر اليوم إن شاء الله ، فليرجع إليه من شاء .

ثم إن روح التشيع واضح من الحديث ، فإن من الثابت عند أهل السنة أن فضل الخلفاء الأربعة على ترتيبهم المعروف ، فأفضلهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، رضي الله عنهم أجمعين ، وهذا التفضيل ، ثابت عن علي نفسه ، بل وفي زمن النبي (ﷺ) كانوا لا يعدلون بأبي بكر أحداً كما في البخاري وغيره ، فكيف يمكن أن يقول : « وعلي سيد العرب » ، فلا شك أن هذا من وضع الشيعة . ونحن نشم رائحة التشيع من هذا الغماري وإخوته من كتاباتهم ، حتى أن أحدهم ألف رسالة خاصة في توثيق الحارث الأعور الشيعي! والله المستعان .

وختاماً أسأل الله تبارك وتعالى ان يوفقنا وإخواننا المسلمين للتعرف على فضائل نبيه الكريم ، وسيرته الصحيحة ، لتحفزنا على أن نتخذه قدوة حسنة لنا ، في كل شؤون حياتنا ، إنه سميع مجيب .

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله الا أنت ، استغفرك وأتوب إليك .

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم .

بيروت ضحوة الاثنين ٢٨ ذي الحجة سنة ١٤٠١[١]

وكتب

محمد ناصر الدين الألباني

---

(١) جرت بعض العوائق فحالت دون إتمام طبع الرسالة حتى منتصف سنة ١٤٠٣ ولا حول ولا قوة إلا بالله - زهير - .

بداية السول في تفضيل الرسول

صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

من انفاس الشيخ الامام العالم العارف قدوة الانام عز الدين بن عبد السلام

السلمي الشافعي قدس الله روحه ونفع به في الدارين

نموذج العنوان والقسم الاخير في مخطوطـــة الاصل . وهـــي محفوظة في مكتبة زهير الشاويش رقم (٤٤٣٢) .

بداية السُّول
في تفضيل الرَّسول
صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم

من أنفاس الشيخ الامام
العالم العارف قدوة الأنام
عز الدين ابن عبد السلام
السّلمي الشافعي

قدس الله سره
ورفع في الدارين قدره



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وسلم وأعن ويَسِّر وتمم .

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد الخلق أجمعين ، محمدٍ خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الله تعالى : ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿تلك الرسل فَضَّلنا بعضَهم على بعضٍ منهم من كلّم الله ورفع بعضَهم درجات﴾(٢) . التفضيل الأول صريح في المفاضلة ، والثاني في تضعيف المفاضلة بدرجات وقد فضل الله تعالى نبيَّنا ﷺ من وجوه .

١ ـ أولها : أنه ساد الكل ، قال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم

---

(١) سورة النساء ، الآية ١١٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٥٣

ولا فخر ».[1] والسيّدُ مَن اتصف بالصفات العليَّة ، والأخلاق السنيَّة . وهذا مشعرٌ بأنه أفْضَلُ منهم في الدارين ؛ أمَّا في الدنيا فلما اتصَفَ به من الأخلاق العظيمة . وأمَّا في الآخرة فلأن الجزاء مرتّبٌ على الأخلاق والأوصاف ، فإذا فَضَلَهم في الدنيا في المناقب والصفات ، فَضَلَهم في الآخرة في المراتب والدرجات . وإنما قال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » لتعرف أمتُه منزلته من ربه عَزَّ وجل ، ولمّا كان ذكر مناقب النفس إنما تذكر افتخاراً في الغالب ، أراد ﷺ أن يقطع وَهمَ من توهم من الجهلة أن يذكر ذلك افتخاراً فقال : « ولا فخر »

٢ - ومنها قوله ﷺ : « وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ».[2]

---

(١) هو من حديث لعبد الله بن سلام رضي الله عنه ، ولفظه : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، بيدي لواء الحمد ، تحته آدم فمن دونه » .

أخرجه ابن حبان من طريق أبي يعلى بسند صحيح ، وهو مخرج في « ظلال الجنة في تخريج السنة » . برقم (٣٩٣) ، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري عند الترمذي وغيره وحسنه ، وهو مخرج في « الصحيحة » (رقم ١٥٧١) .

(٢) هو من حديث عبد الله بن سلام المتقدم ، باختلاف=

٣ - ومنها قوله ﷺ: «آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر».[٣]

وهذه الخصائص تدل على علو مرتبته، إذ لا معنى للتفضيل الا التخصيص بالمناقب والمراتب.

٤ - ومنها أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم، لأن كل واحد منهم إذا طُلبَتْ منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصابها وقال: «نفسي نفسي»،[٤] ولو علم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يُوْجَل

= يسير في اللفظ، وما هنا يوافق لفظ حديث أبي سعيد المشار إليه آنفا عند ابن ماجة (٤٣٠٨).

(٣) هذا اللفظ في حديث لابن عباس في الشفاعة، عند أحمد (١/٢٨١ و٢٩٥). وله عن طريق أخرى عند الترمذي (٣٦٢٠) وغيره، وهو مخرج في «الظلال» (٧٩٥)، ومعناه في حديث عبد الله بن سلام وأبي سعيد المتقدمين.

(٤) هو طرف من حديث الشفاعة الطويل من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «أنا سيد الناس يوم القيامة. هل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد.... » الحديث. رواه الشيخان، وهو مخرج في =

منها في ذلك المقام ، وإذا آستشفعت الخلائق بالنبي ﷺ في ذلك المقام قال : « أنا لها »[5]

٥ - ومنها أنه ﷺ أول شافع ، وأول مُشفّع » .[6] وهذا يدل على تخصيصه وتفضيله .

٦ - ومنها إيثاره ﷺ على نفسه ، إذ جعل لكل نبي دعوة مستجابة ، فكل منهم تَعَجّل دعوته في الدنيا ، واختبأ هو ﷺ دعوته شفاعةً لأُمّتِهِ .[7]

= « ظلال الجنة » (٨١١) .

(٥) هو رواية في حديث الشفاعة المشار إليه آنفاً ، لكنه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . أخرجه الشيخان أيضاً وابن أبي عاصم في « السنة » (٨١٦ و٨١٧) .

(٦) هو من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه الأرض ، وأول شافع ، وأول مشفع » .

رواه مسلم وغيره ، وهو مخرج في « ظلال الجنة في تخريج السنة » طبع المكتب الاسلامي » (٧٩٢) ، وله شواهد كثيرة ذكرت بعضها في « الصحيحة » (١٥٧١) ، منها حديث عبد الله بن سلام وأبي سعيد المتقدمين في التعليق رقم (١) .

(٧) يشير إلى قوله ﷺ : « لكل نبي دعوة مستجابة ، يدعو =

٧ - ومنها أن الله تعالى أقسم بحياتِهِ ﷺ فقال: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾[١]، والإقسام بحياةِ المُقْسَم بحياته يدل على شرق حياتِهِ وعِزّتها عند المُقْسِم بها، وأن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم بها لما فيها من البركة العامة والخاصة، ولم يثبت هذا لغيره ﷺ.

٨ - ومنها أن الله تعالى وقَّره في ندائه، فناداهُ بأحبِّ أسمائه وأسنى أوصافه فقال: ﴿يا أيُّها النبيُّ...﴾[٢] و﴿يا أيُّها الرسولُ...﴾[٣]، وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل ثبت أنَّ كلاًّ منهم نودي باسمه، فقال تعالى:

﴿يا آدمُ اسكن..﴾[٤]، ﴿يا عيسى ابن مريم اذكرْ نعمتي عليك﴾[٥]، ﴿يا موسى إنِّي أنا اللهُ﴾[٦]، ﴿يا نوحُ اهبط

---

(١) سورة الحجر، الآية ٧٢.
(٢) سورة الأنفال: ٦٤ و٦٥ و٧٠ ومواضع أخرى.
(٣) سورة المائدة: ٤١ و٦٧.
(٤) سورة البقرة: ٣٥.
(٥) سورة المائدة: ١١٠.
(٦) سورة القصص: ٣٠.

= بها فيستجاب له فيؤتاها، وإني أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة وأنس وغيرهما، وهو مخرج في «الظلال» (٧٩٧ - ٧٩٩).

بسلام﴾[1] ، ﴿يـا داود إنَّـا جعلنـاكَ خليفـةً في الأرض﴾[2] ، ﴿... يا إبراهيم قد صدَّقت الرؤيا ...﴾[3] ، ﴿يا لوطُ إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ..﴾[4] ، ﴿يا ذكريَّا إنَّا نُبَشِّرك ...﴾[5] ، ﴿يا يحيى خُذ الكتابَ﴾[6] .

ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعى أحدَ عبيده بأفضل ما وجد فيهم من الأوصاف العليَّة والأخلاق السنيَّة ، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام لا يُشعر بوصف من الأوصاف ، ولا بخُلُق من الأخلاق ، أنَّ منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعزّ عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم . وهذا معلومٌ بالعرف أن من دُعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كل[8] ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه ، حتى قال القائل :

لا تدعني إلا بيا عبدَها . فإنه أفضل أسمائي .[9]

---

(١) سورة هود : ٤٨ .
(٢) سورة ص : ٢٦ .
(٣) سورة الصافات ، الآية ١٠٥ .
(٤) سورة هود : ٨١ .
(٥) سورة مريم : ٧ .
(٦) سورة مريم : ١٢ .

---

(٨) كذا الأصل ، ولعل الصواب (كان) . وهكذا على الصواب وقع في المطبوعة

(٩) هذا الفصل حرره المؤلف من كلام أبي نعيم في « دلائل =

٩ - ومنها أن معجزة كل نبي تصرّمت وانقرضت، ومعجزة سيد الأولين والآخرين وهي القرآن العظيم باقيةً الى يوم الدين.[١٠]

١٠ - ومنها تسليم الحجر عليه،[١١] وحنين الجذع

=النبوة » (ص ٩ - ١١)، ثم اختصر ذلك كله السيوطي في «الخصائص الكبرى » (١٤١/٣)، وأشار إلى ذلك بقوله:

« قال العلماء ومن خصائصه أن الله تعالى لم يناده في القرآن باسمه... »

(١٠) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ): « ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة ».

أخرجه البخاري في « فضائل القرآن » ومسلم (٩٢/١ - ٩٣) وأحمد (٣٤١/٢ و٤٥١)، وهذه الفضيلة نقلها السيوطي في « الخصائص » (١٣١/٣) عن المؤلف.

(١١) يشير إلى حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن ».

أخرجه مسلم (٥٨/٧ - ٥٩) والترمذي (٣٦٢٨) وحسنه=

إليه،[١٢] ولم يثبت لواحد من الأنبياء مثل ذلك.

خذ ما تراهُ ودع شيئاً سمعت به.

١١ - ومنها أنه وجد في معجزاته ما هُوَ أظهر في

= والدارمي في «مقدمة السنن» وأحمد (٨٩/٥ و٩٥ و١٠٥) وأبو نعيم في «الدلائل» (ص ٣٤٠).

(١٢) هذه المعجزة متواترة عن النبي ﷺ، وقد جمع قسماً كبيراً من طرقها الحافظ ابن كثير في «البداية» والسيوطي في «الخصائص» (٣٠٦/٢ - ٣٠٩) عن جمع من الصحابة، منهم ابن عمر وجابر عند البخاري في «المناقب» وأبو نعيم (ص ٣٤١ - ٣٤٥) عن جابر وأبي وسهل بن سعد وأبي سعيد الخدري وعائشة، وغيره عن غير هؤلاء، منهم أنس بن مالك رضي الله عنه وابن عباس معاً عن ابن ماجه (١٤١٥) ولفظه: أن النبي ﷺ كان يخطب جذع، فلما اتخذ المنبر ذهب إلى المنبر فَحَنَّ الجذع، فاحتضنه فسكن، فقال: «لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة».

وقد أخرجته في «الأحاديث الصحيحة» (١٢٠٠).

وقد عزا السيوطي هذه الفضيلة والتي قبلها للمصنف. فانظر (١٣١/٣).

الإعجاز من معجزات غيره ، كتفجير الماء من بين أصابعه.(١٣) فإنه أبلغ في خرق العادة من تفجيره من الحَجر ، لأن جنس الأحجار مما يتفجر منه الماء ، وكانت معجزته بانفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام.

١٢ ـ ومنها أن عيسى عليه السلام أبرأ الأكمَه مع بقاء عينه في مقّرها ، ورسول الله ﷺ ردَّ العين بعد أن سالت على الخَدّ.(١٤) ففيه معجزة من وجهين:

---

(١٣) قلت: هذا مما تواتر أيضاً عنه ﷺ في مناسبات كثيرة عن جمع من الصحابة ، خرج أحاديثهم أبو نعيم (ص ٣٤٥ ـ ٣٥٠) ثم السيوطي (٢/٢١٤ ـ ٢١٩) بعضها في «الصحيحين» ، كحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه ، قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس ، حتى توضؤوا من عند آخرهم».

(١٤) يشير إلى ما أخرجه أبو يعلى وأبو نعيم من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة أنه أصيبت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن =

أحدهما : التئآمها بعد سيلانها ،

والأخرى: رد البصر إليها بعد فقده منها .

١٣ ـ ومنها أن الأموات الذين أحياهم من الكفر بالإيمان أكثر عدداً ممن أحياهم [١٥] عيسى حياة الأبدان . وسيأتي بيان حياة الإيمان وحياة الأبدان .

١٤ ـ ومنها أن الله تعالى يكتب لكل نبي من الأنبيآء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها ؛ وأُمَّتُهُ شطر أهل الجنة ،[١٦] وقد أخبر الله تعالى أن أمَّته خير أمةٍ أُخرجت

= يقطعوها ، فسألوا النبي ﷺ فقال : لا ، فدعا به فغمز عينه براحته ، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت . ذكره السيوطي (٥٤١/١) ، واللفظ لأبي يعلى فقد ساقه الهيثمي في « المجمع » (٢٩٧/٨ ـ ٢٩٨) وقال : «في إسناده يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف » .

قلت : لكنه عند أبي نعيم (ص ٤١٨) من طريقين أخريين ، فهو يتقوى بهما .

(١٥) الأصل (من إحيائهم) ولعل الصواب ما أثبتنا . ثم رأيته هكذا على الصواب في المطبوعة . لكن سقط منها ذكر (عيسى) ففسد المعنى!

(١٦) جاء ذلك في حديث لأبي سعيد الخدري مرفوعاً =

للناس،[17] وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعارف

= بلفظ: « يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم! فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم. فقال النبي ﷺ: ومن يأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا رُبع أهل الجنة، فكبرنا. ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبرنا ».

أخرجه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج في « الصحيحة » (٣٢٥٠)، ونبهت فيه أن: وقع في « صحيح الجامع » (٧٩٩٨) تبعاً لأصله معزواً لـ (حم، ن) فلعل (ن) محرف من (ق) أي متفق عليه. والله أعلم.

(١٧) يعني قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أُخْرِجَتْ للناس تـأمرون بـالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بـالله﴾ (آل عمران/١١٠).

والأحوال والأقوال والأعمال، فما من معرفة ولا حالة ولا عبادة ولا مقالة ولا شيء مما يتقرب به إلى الله عزَّ وجل مما دل عليه رسول الله ﷺ ودعى إليه إلاّ وله أجر من عمل به إلى يوم القيامة،[١٨] ولا يَبْلُغ أحدٌ من الأنبياء إلى هذه المرتبة. وقد جاء في الحديث: «الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله».[١٩] فإذا كان ﷺ قد نفع شطر أهل الجنة، وغيرُه من

---

(١٨) يشير رحمه الله إلى قوله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء...».

رواه مسلم وغيره من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وهو مخرج في «أحكام الجنائز» (ص١٧٦ - طبع المكتب الإسلامي).

(١٩) قلت: هذا حديث ضعيف الإسناد جداً على شهرته، كما بينت ذلك في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣٥٩١) و«الروض النضير» (١/٤٣٣ - ٤٣٤)، لكن يغني عنه هنا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «خير الناس أنفعهم للناس». وهو حديث حسن كما بينته في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤٢٦)، فلو أن المصنف جعله مكان هذا لكان خيرا.

الأنبياء إنما نفع جزءاً من أجزاء الشطر ، كانت منزلته ﷺ ، في القرب على قدر منزلته في النفع ، فما من عارف من أمته إلا وله مثل أجر معرفته مضافاً إلى معارفه ﷺ ، وما من ذي حال من أمته إلا وله ﷺ مثل أجره على حاله مضموماً إلى أحواله ﷺ ، وما من ذي مقال يُتَقَرَّبُ به إلى الله عز وجل إلا وله ﷺ مثل أجر ذلك القول مضموماً الى مقالته وتبليغ رسالته ، وما من عمل من الأعمال المقربة إلى الله عز وجل من صلاةٍ وزكاةٍ وعتقٍ وجهادٍ وبرٍ ومعروفٍ وذِكرٍ وصبرٍ وعفوٍ وصفحٍ إلا وله ﷺ مثل أجر عامله مضموماً إلى أجره على أعماله ، وما من درجةٍ عَلِيَّةٍ ، ومرتبةٍ سنيَّةٍ ، نالها أحد من أمَّتِهِ بإرشاده ودلالته إلا وله مثل أجرها مضموماً إلى درجته ﷺ ومرتبته ، ويتضاعف ذلك بأن من دعى من أمَّتِهِ إلى هدى[٢٠] أو سَنَّ سنة حسنة كان له أجر من عمل بذلك على عدد العاملين ، ثم يكون هذا المضاعف لنبيّنا ﷺ ، لأنه دل عليه ، وأرشد إليه . ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غِبطةٍ غَبَطَ بها النبي

---

(٢٠) يشير إلى قوله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، . . . » .

رواه مسلم وغيره ، وهو مخرج في « الصحيحة » (٨٦٣) .

ﷺ ، إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من **أمة موسى** عليه السلام ،(٢١) ولم يبك حسداً كما يتوهمه بعض الجهال ، وإنما بكا أسفاً على ما فاته من مثل مرتبته.

١٥ - ومنها أن الله تعالى أرسل كل نبي إلى قومه خاصة ، وأرسل نبينا محمداً ﷺ إلى الجن والإنس ،(٢٢) ولكل نبي من

---

(٢١) صح هذا في قصة المعراج من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : « ... ثم صعد بي إلى السماء السادسة... فلما خلصت فإذا موسى ، قال (جبريل) : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، قيل له : ما يبكيك؟ قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتي ».

أخرجه الشيخان وغيرهما ، وهو مخرج في « تخريج فقه السيرة » (ص ٦٤).

(٢٢) كما في قوله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وقوله : ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ وقوله (ﷺ) :

« أعطيت خمساً لم يُعْطَهُنَّ أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأيما =

الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمته، ولنبينا ﷺ ثواب التبليغ إلى كل من أرسل إليه، تارة لمباشرة الإبلاغ، وتارة بالنسبة إليه، ولذلك تمنّن عليه بقوله تعالى: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾[1]، ووجه التمنّن: أنه لو بعث في كل قريةٍ نذيراً لما حصل لرسول الله ﷺ إلاّ أجر إنذاره لأهل قريته.[23]

١٦ - ومنها أن الله تعالى كلّم موسى عليه السلام بالطور، وبالوادي المقدّس، وكلّم نبيّنا ﷺ عند سدرة المنتهى.[24]

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٥١.

= رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة».

رواه الشيخان وغيرهما من حديث جابر رضي الله عنه، وهو مخرج في «أرواء الغليل» تحت الحديث (٢٨٥) الحديث (٢).

(٢٣) قلت: وفي هذا الكلام تنبيه لطيف إلى أنه لا منافاة بين الآية المذكورة وبين قوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾، لأن المراد بالأولى زمانه ﷺ، وبالأخرى ما قبله.

(٢٤) نقل هذه الفقرة عن المصنف السيوطي في =

= «الخصائص» (١٥١/٣). ويشير إلى قوله تعالى في سورة (النجم): ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ إلى قوله: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾. وفي حديث الإسراء من رواية أنس رضي الله عنه:

ثم ذهب بي إلى السدة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال. قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة... حتى قال: يا محمد إنّهنَّ خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة».

أخرجه مسلم (١٠١/١)، ونحوه في «البخاري» (١٩٣ و١٩٤ - مختصره). ثم أخرج (١٠٩/١) عن عبد الله بن مسعود قال:

«لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعود به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال: ﴿إذْ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قال: فَراش من ذهب. قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله شيئاً المقحمات»

١٧ ـ ومنها أنه قال: «نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق، ونحن أول من يدخل الجنة».[٢٥]

---

(٢٥) أخرجه مسلم (٧/٣) وأبو عوانة في «صحيحه» (١٧٥/١) والنسائي (ص ٢٢٤ ـ هندية) وابن ماجه (١٠٨٣) عن أبي حازم عن أبي هريرة، وعن ربعي بن حراش عن حذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ:

«أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة، والسبت، والأحد، ولذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون»... إلخ دون زيادة: «ونحن أول من يدخل الجنة» وهذا أخرجه مسلم (٦/٣ ـ ٧) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة وحده بلفظ:

«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله...» الحديث نحوه.

ثم أخرجه هو والبخاري في «الجمعة» وفي «بني إسرائيل» من طريق طاوس عن أبي هريرة بلفظ:

«نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، أوتوا الكتاب...» نحوه.

=

= وعزاه إليهما ابن القيم في « حادي الأرواح » (١٧٨/١) بالزيادة، وهو وهم. ومن أبواب السيوطي في « الخصائص (٢٤٩/٣) » باب اختصاصه ﷺ بأن أمته يدخلون الجنة قبل كل أحد »

ثم ذكر أنه تقدم حديثها قريباً. يعني في الباب الذي قبله، ولم يذكر فيه شيئاً صريحاً صحيحاً، إلا حديث حذيفة هذا، وهو ظاهر الدلالة غير صريحها.

تنبيه: لقد أخطأ في هذا الحديث ثلاثة من العلماء:

الأول: المؤلف رحمه الله حيث ألحق به تلك الزيادة! والخطب فيه سهل.

الثاني: الحافظ السيوطي فإنه عزاه (٢٤٤/٣) لابن ماجه فقط! وهذا خطأ فاحش من مثله، فإنه لا يجوز عزو الحديث لغير الصحيحين إذا كان فيهما أو في أحدهما، مهما كان المعزو إليه مشهوراً أو عظيماً؛ لأن مثل هذا العزو لا يعطي الصحة التي تستفاد من العزو لأحدهما، وكأن السيوطي سها فقد عزاه على الصحة في « الزيادة على الجامع الصغير » فانظر « صحيح الجامع » (١٠٢٨).

الثالث: صاحبنا الدكتور محمد خليل هراس فإنه علق على=

١٨ - ومنها أنه لما ذكر السؤدد مطلقا فقد قيَّده بـ « يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر ، وأوَّل شافع ، وأول مُشفع ».[٢٦]

١٩ - ومنها أنه ﷺ أخبر أنه يرغب إليه الخلق كلهم يوم القيامة ، حق إبراهيم.[٢٧]

= هذا الحديث في تحقيقه لـ « الخصائص » بقوله :

«لا يوجد هذا الحديث في ابن ماجه .... »؟

ثم ذكر أن مسلماً والنسائي روياه من حديث حذيفة بلفظ : « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ... نحن الآخرون ... » فذكره كما ذكرنا وهو كذلك عند ابن ماجه في الموضع الذي أشرنا إلى رقمه . ثم إنه وهم وهماً آخر ، وهو أنه جعله من حديث حذيفة فقط ، والواقع أنه عندهم جميعاً من حديثه مقرونا بأبي هريرة كما تقدم ، وكذلك رواه أبو عوانة في « صحيحه » (١٧٥/١).

(٢٦) تقدم هذا الحديث في التعليق رقم (٦).

(٢٧) يعني حديث الشفاعة الطويل ، وقد سبق تخريجه من حديث أبي هريرة رقم التعليق (٤) ، ومن حديث أنس رقم (٥).

٢٠ ـ ومنها أنه قال : « الوسيلة منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلاَّ لعبدٍ من عباد الله تعالى ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة ، حلّت عليه الشفاعة ».(٢٨)

٢١ - ومنها أنه يدخل من أمَّتِهِ إلى الجنّةِ سبعون الفاً بغير حساب »،(٢٩) ولم يثبت ذلك لغيره ﷺ .

---

(٢٨) هو من حديث عبد الله بن عمرو أنه سمع النبي ﷺ يقول :

.« إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ؛ فإنها منزلة في الجنة ... » الخ .

أخرجه الإمام مسلم وغيره . وهو مخرج في « الإرواء » (٢٤٢) .

(٢٩) قلت : فيه أحاديث كثيرة في « الصحيحين » وغيرهما عن جمع من الصحابة ، منهم أبو هريرة وعمران وسهل ابن سعد وابن عباس ، وقد أخرجها عنهم مسلم (١/١٣٦ - ١٣٨) ، وانظر « صحيح الجامع الصغير » (٧٩٢٦ و٧٩٢٧) . ومنهم أبو أمامة رضي الله عنه ، وفيه فضل زائد على ما جاء في حديثهم ، ولفظه :

« وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب=

= عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفاً ، وثلاث حثيات من حثيات ربي ».

أخرجه الترمذي (٢٤٣٩) وابن ماجه (٤٢٨٦) وأحمد (٥/٢٦٨) بإسناد صحيح عنه. وله عنده طريق أخرى (٥/٢٥٠).

وله شاهد في « السنة » لابن أبي عاصم صححه الحافظ ابن حجر ، وفيه نظر بيَّنته في « ظلال الجنة » (٨١٤).

وأخرى من حديث أبي هريرة وأنس عند أحمد (٢/٣٥٩ و٣/١٦٥ و١٩٣).

فائدة: في حديث عمران بن حصين وابن عباس زيادة :

« هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون ».

لكن زاد مسلم في رواية عن ابن عباس فقال : « .. لا يرقون ولا يسترقون ».

فقوله : « لا يرقون » وهم من بعض رواتها لمخالفته لجميع الثقات الذين رووا الحديث ، ولذلك ضَعَّف ابن تيمية هذه الزيادة في بعض فتاويه رواية ودراية ، ولم يتنبه لهذه العلة من قام على تصحيح كتاب « مجموع الفتاوي » ، ولكنه لاحظ =

٢٢ - ومنها: الكوثر الذي أعطيه في الجنة، والحوض الذي أعطيه في الموقف.(٣٠)

=نكارة معناها، فقيد ياء (يرقون) بالضم أي على صيغة المبني للمجهول! غير متنبه أيضاً أنه فاسد أيضاً من حيث المعنى، لأن الفعل المعطوف عليه مثله في المعنى، فإن الجملة تصبح حينئذ هكذا: (لا يُرقَون ولا يَسترقُون) وهذا ظاهر البطلان. أنظر المجلد الأول من «المجموع» (ص ٣٢٨).

وأما ما ذكره الحافظ في «فتح الباري» (١١/٣٥٤ - بولاق) من الاعتراض على ابن تيمية فهو غيرِ قوي، لأن زيادة الثقة إنما تقبل إذا لم تكن مخالفة لرواية من هو أوثق منه أو أكثر عدداً، كما هو المعتمد عند المحدثين، والأمر ليس كذلك هنا، مع ما في تأويله للزيادة من التكلف، مما لا يتسع المجال هنا لبيانه.

ثم إن هذه الفقرة مما نقله السيوطي (٣/٤٤٩) عن المؤلف رحمهما الله تعالى.

(٣٠) قلت: أما الكوثر فهو مذكور في قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾، وقد صح عن ابن عباس أنه فسر (الكوثر) بالخير الكثير الذي أعطاه الله. ولا ينافيه قول عائشة: «هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد نجوم=

= السماء ». أخرجهما البخاري، أقول: لا ينافيه لأن هذا النهر هو من الخير الكثير الذي أعطاه الله نبينا محمداً ﷺ، والأحاديث فيه كثيرة في البخاري ومسلم وغيرهما منها حديث أنس قال:

« لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر ».

أخرجه البخاري (٨/٥٦٢ - فتح) وانظر « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » لابن القيم (١/٢٨٣ - ٢٨٧).

وأما الحوض فأحاديثه كثيرة جداً، قد بلغت مبلغ التواتر التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، قال الحافظ:

« إذ قد روى ذلك عن (ﷺ) من الصحابة نيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله، واشتهر رواته ».

قلت: وقد استقصى طرقه ابن أبي عاصم في « السنة » (٢/٣٢١ - ٣٦٠) (رقم ٦٩٧ - ٧٧٦) عن أكثر من خمسة وثلاثين صحابياً، لبعضهم أكثر من طريق واحد وهذه أسماؤهم:

١ - عمر بن الخطاب
٢ - أنس بن مالك
٣ - زيد بن أرقم
٤ - أبو برزة الأسلمي
٥ - البراء بن عازب
٦ - عائذ بن عمرو

٧ - خولة بنت حكيم
٨ - ثوبان
٩ - عتبة بن عبدالسلمي
١٠ - أبي بن كعب
١١ - عبدالله بن عمرو
١٢ - أبو ذر
١٣ - أبو سعيد الخدري
١٤ - حذيفة بن اليمان
١٥ - عبدالله بن عمر
١٦ - أبو أمامة
١٧ - رجل من خزاعة
١٨ - أبو هريرة
١٩ - سمرة بن جندب
٢٠ - عقبة بن عامر
٢١ - عبدالله بن مسعود
٢٢ - أبو الدرداء
٢٣ - جابر بن سمرة
٢٤ - الصنابحي
٢٥ - جبير بن مطعم
٢٦ - سهل بن سعد
٢٧ - عبدالله بن عباس
٢٨ - أبو بكر الصديق
٢٩ - أُسَيْد بن حضير
٣٠ - عبدالله بن زيد
٣١ - زيد بن ثابت
٣٢ - كعب بن عجرة
٣٣ - خباب بن الأرتّ
٣٤ - حذيفة بن أسيد
٣٥ - أبو بكر
٣٦ - عائشة
٣٧ - جابر بن عبدالله.

وقال ابن أبي عاصم رحمه الله ما مختصره:

« والأخبار التي ذكرنا في حوض النبي ﷺ توجب العلم، فنحن به مصدقون، ونرغب الى الذي وفقنا للتصديق به أن يوردنا فيسقينا منه شربة نعدم بها ظمأ الأمد بطوله، ونسأله ذلك بفضله ».

٢٣ ـ ومنها قوله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون »[٣١]؛ الآخرون زماناً ، السابقون بالمناقب والفضائل .

٢٤ ـ ومنها أنه أُحلّت له الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبله[٣٢]،

= ثم إن قول المصنف : « في الموقف » ، فيه أنه يرى أن الحوض قبل الصراط ، وهو الظاهر من بعض الأحاديث ، وهو الذي رجحه الحافظ .

(٣١) هذا رواية من حديث أبي هريرة من طريق طاوس عنه ، وقد مضى تخريجه برقم (٢٥) ، وهذا القدر منه رواه أبو نعيم (ص ١٧) من طريق همام عنه . وهو رواية لمسلم .

(٣٢) قد صح هذا عن جماعة من الصحابة بألفاظ متقاربة ، أقربها إلى ما هنا حديث أبي ذر مرفوعاً بلفظ :

« أعطيت خمساً لم يعطهن نبي من قبلي ، بعثت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، ونُصرت بالرعب شهراً : يرعب مني العدو مسيرة شهر ، وقيل لي : سل تُعطَ ، فأختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي ، وهي نائلة منكم إن شاء الله تعالى من لا يشرك بالله شيئاً » .

أخرجه أحمد وغيره بإسناد صحيح ، وهو مخرج في الارواء » (٢٨٥ ـ الحديث ـ ٥) .

وجعلت صفوف أمَّتِهِ كصفوف الملائكة ، وجعلت له الأرض مسجداً ، وترابها[٣٣] طهوراً . وهذه الخصائص تدل على علوّ مرتبته ، والرفق بأمَّتِهِ .

٢٥ - ومنها أن الله تعالى أثنى على خُلُقه فقال : ﴿وإنك لعلى خُلقٍ عظيم﴾[١] ، واستعظام العظماء للشيء يدل على إيغاله في العَظَمَة ، فما الظن باستعظام أعظم العظماء ؟

٢٦ - ومنها أن الله تعالى كَلَّمَهُ بأنواع الوحي وهي ثلاثة :

أحدها : الرؤيا الصادقة .

---

(١) سورة القلم : ٤ .

---

(٣٣) كذا الأصل وكذا في المطبوعة ، والذي في « مسلم » (تربتها) ، وكذلك ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » (رقم - ٤٠٩٩ - صحيح الجامع) ، ولفظ الحديث من رواية حذيفة رضي الله عنه :

« فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا ، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء » .

رواه مسلم وغيره ، وهو مخرج في المصدر السابق (رقم الحديث ٣) .

والثاني : الكلام من غير واسطة .

والثالث: مع جبريل صلى الله عليه وسلم .(٣٤)

٢٧ - ومنها أن كتابه ﷺ مشتمل على ما اشتملت عليه التوراة والإنجيل والزبور ، وفصل بالمفصّل.(٣٥)

---

(٣٤) قلت : بقي نوع آخر وهو النفث في الرَّوع كما في حديث أبي أمامة وغيره :

« إن روح القدس نفث في رُوعي ؛ أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته » .

وهو مخرج في « فقه السيرة » (٩٦) .

وهذه الفضيلة نقلها السيوطي (١٥٣/٣) عن المؤلف رحمهما الله تعالى . وراجع تفصيل الكلام على أنواع الوحي المذكورة في « زاد المعاد » .

(٣٥) قلت : الشاهد لهذا حديث واثلة بن الأسقع عن النبي (ﷺ) قال :

« أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان =

٢٨ - ومنها أن أمَّتَهُ أقل عملاً من قبلهم، وأكثر أجراً كما جاء في الحديث الصحيح.(٣٦)

= الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل».

وهو حديث صحيح كما بينت ذلك في «الأحاديث الصحيحة» (١٥٨) وأما الحديث الذي رواه أبو نعيم في «الدلائل» (ص ٢٨) من حديث ابن عباس مرفوعاً مطولاً، وفيه هذا الذي رواه واثلة، واستشهد به السيوطي في «الخصائص» (٣/٢٣٩)، فهو مما لا يجوز الاستشهاد به لأن في إسناده إسحاق بن بشر وهو أبو حذيفة الكاهلي، قال الذهبي:

«تركوه، وكذبه علي بن المديني، وقال الدارقطني: كذاب متروك».

(٣٦) يشير إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم، فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل. فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا، فأبوا وتركوا. واستأجر أجيرين بعدهم، فقال =

= لهما : أكملا بقية يومكما هذا ولكما الذي شرطت لهم من الأجر ، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالا : لك ما عملنا باطل ، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه ، فقال لهما : أكملا بقية عملكما فإن ما بقي من النهار شيء يسير ، فأبيا . واستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم ، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس ، واستكملوا أجر الفريقين كليهما . فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور » .

أخرجه البخاري (٣/٩٠ - ٩١) من طريق بُرَيد عن أبي بردة عنه . وله عنده شاهد من حديث ابن عمر نحوه أتم منه ، وهو في « مختصر البخاري » برقم (٣١٢) وفي آخره :

« فغضبت اليهود والنصارى فقالوا : ما لنا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء ؟ قال الله : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا . قال : فهو فضلي أوتيه من أشاء » .

قال الحافظ ابن كثير في « البداية » (٢/١٤٦) عقب الحديث :

« والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم ، وأن ذلك ليس منوطاً بكثرة العمل وقلته ، بل بأمور أخر معتبرة عند الله تعالى . وكم من عمل قليل أجدى ما لا يجديه العمل=

٣٩ - ومنها أن الله عزّ وجلّ عرض عليه مفاتيح كنوز الأرض وخيّرَهُ بين أن يكون ملكاً أو نبيّاً عبداً ، فاستشار

= الكثير . هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة ألف شهر في سواها ، وهؤلاء أصحاب محمد ﷺ أنفقوا في أوقات لو أنفق غيرهم من الذهب مثل أحد ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه من تمر . وهذا رسول الله ﷺ بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، وقبضه وهو ابن ثلاث وستين على المشهور ، وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنة في العلوم النافعة والأعمال الصالحة على سائر الأنبياء قبله ، حتى على نوح الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى عباذة الله وحده لا شريك له ويعمل بطاعة الله ليلاً ونهاراً ، صباحاً ومساءً صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء أجمعين ، فهذه الأمة إنما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمته ، كما قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ، ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم . لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ .

وهذه الفقرة نقلها السيوطي في « الخصائص » (٢١٧/٣) .

جبريل عليه السلام ، فأشار إليه أن تواضعْ ، فقال له : « نبيّاً عبداً ، أجوع يوماً ، وأشبع يوماً ، فإذا جعتُ دعوت الله ، وإذا شبعتُ شكرت الله » .[37]

---

(٣٧) أخرجه الترمذي (٢٣٤٨) وأحمد (٥/٢٥٤) وأبو نعيم (ص ٥٢٢) من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال :

« عَرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لا يا رب! ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ، (أو نحو ذلك) ، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » .

وقال الترمذي :

« حديث حسن ، وعلي بن يزيد ضعيف الحديث » .

قلت : وهو الألباني ، وعبيد الله بن زحر مثله في الضعف أو أشد ، فقد قال ابن حبان في « المجروحين » (٢/٦٣ - ٦٤ - هندية) :

« منكر الحديث جدا ، روى الموضوعات عن الأثبات ، وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات ، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبيد الله بن زحر ، وعلي بن يزيد ، والقاسم أبو عبد الرحمن لا يكون مَتْنُ ذلك الخبر إلا مما عملت أيديهم ، فلا يحل =

= الاحتجاج بهذه الصحيفة ، بل التنكب عن رواية عبيد الله بن زحر على الأحوال أولى » .

قلت : فإسناد الحديث ضعيف جداً ، والترمذي أشار إلى تحسين متنه لغيره ، ولم أقف على ما يشهد له بتمامه ، اللهم إلا الطرف الأول منه ، فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه :

« جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء ، فإذا ملك ينزل ، فقال له جبريل : هذا الملك ما نزل منذ خُلق قبل الساعة فلما نزل قال : يا محمد أرسلني إليك ربك ، أملكاً أجعلك أم عبداً رسولا ؟ قال له جبريل : تواضع لربك يا محمد ! فقال رسول الله ﷺ : لا بل عبداً رسولا » .

أخرجه أحمد (٢٣١/٢) وابن حبان (٢١٣٧ - موارد) بسند صحيح على شرط الشيخين ، ورواه البزار أيضاً وأبو يعلى كما في « المجمع » (١٩/٩) .

وله شاهد يرويه أبو معشر عن سعيد المقبري عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

« يا عائشة ! لو شئت لسارت معي جبال الذهب ، جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة فقال : إنَّ ربك عز وجل يقرأ عليك السلام : إن شئت عبداً نبيا ، وإن شئت نبياً ملكاً ، فنظرت إلى =

قصد ﷺ أن يكون مشغولاً بالله في طورَي الشدة والرخاء ، والنعمة والبلاء .

٣٠ ـ ومنها أن الله تعالى أرسله (رحمةً للعالمين) ، فأمهل عصاة أمته ولم يعاجلهم إبقاء عليهم ،[٣٨] بخلاف من تقدمه من

= جبريل ، فأشار إليّ : أن ضَعْ نفسك ، فقلت : نبياً عبداً » .

وقال الهيثمي :

« رواه أبو يعلى ، وإسناده حسن » .

قلت : لعله يعني حسن لغيره ، فإني ما أظن أنه عند أبي يعلى . من غير طريق أبي معشر هذا ، واسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي ، قال ابن حجر في « التقريب » :

« ضعيف » .

وللحديث شواهد أخرى في « مجمع الزوائد » فليراجعه من شاء ، وهي كلها خلو من الزيادة التي تفرد بها عبيد الله بن زحر : « أشبع يوماً . . . » الخ . فهي زيادة منكرة . والله أعلم .

(٣٨) يشير إلى قوله تعالى : ﴿وما كان الله ليُعَذِّبَهم وأنت فيهم﴾ ، قال أبو نعيم (ص ٩) :

« فأمن أعداؤه من العذاب مدة حياته عليه السلام فيهم ، فلم يُعذِّبهم مع استعجالهم إياه تحقيقاً لما نعته به ، فلما ذهب عنهم إلى =

الأنبياء فإنهم لما كُذِّبوا عوجل مكذبهم.[٣٩]

٣١ - وأمّا أخلاقهُ ﷺ في حلمه وعفوه وصفحه وصبره وشكره ولينه في الله، وأنه لم يغضب لنفسه، وأنه جاء بإتمام مكارم الأخلاق،[٤٠] وما نقل من خشوعه وخضوعه وتَبتُّله وتواضعه في مأكله، وملبسه، ومشربه، ومسكنه، وجميل عشرته، وكريم خليقَته، وحسن سجيَّته، ونصحه لأمتِهِ، وحرصه على إيمان عشيرته، وقيامه بأعباء رسالته في نصرة دين الله، وإعلاء كلمته، وما لقيه من أذى قومه وغيرهم في وطنه

= ربه تعالى أنزل الله بهم ما عذبهم به من قتل وأسر، وذلك قوله تعالى: ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون﴾

(٣٩) كما وقع لقوم نوح وغيرهم، قال تعالى: ﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كفروا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عَمين﴾. وقال في هود وقومه عاد: ﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾. وقال في ثمود قوم صالح: ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. فتولى عنهم وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تُحبّون الناصحين﴾. سورة الأعراف.

(٤٠) يشير إلى قوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» انظر «الصحيحة»(٤٥)

وغربته، فبعض هذه المناقب موجودة في كتاب الله وكتب شمائله.[٤١].

٣٢ - أمَّا لينُه ففي قوله تعالى: ﴿فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم﴾[١].

٣٣ - وأمَّا شدَّته على الكافرين، ورحمته على المؤمنين ففي قوله تعالى: ﴿محمدٌ رسول الله والَّذين معه أشدَّاء على الكفار رحماء بينهم﴾[٢].

٣٤ - وأمَّا حرصه على إيمان أمَّتِهِ، ورأفته بالمؤمنين، وشفقته على الكافة ففي قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتُّم حريص عليكم﴾[٣]، أي يشق عليه ما يشق عليكم، (حريص عليكم)، أي إيمانكم (بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم).[٤٢].

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.
(٢) سورة الفتح: ٢٩.
(٣) سورة التوبة: ١٢٨.

---

(٤١) قلت: من أشهرها «الشمائل المحمدية» للإمام الترمذي، وقد اختصرته بحذف أسانيده، ومكرره وهو قليل، وميزت صحيحه من ضعيفه، وعلقت عليه ببعض الفوائد، وهو جاهز للطبع، يسر الله لنا نشره على الناس بمنه وكرمه.

(٤٢) قلت: ومما يدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها أنها =

٣٥ ـ وأمَّا نصحه في أداء رسالته ففي قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [١]. ولو اقتصر [٤٣] لتوجه عليه اللوم.

---

(١) سورة الذاريات: ٥٤.

= قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا بـ (قَرن الثعالب)، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين! فقال له رسول الله ﷺ:

« بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً ».

أخرجه البخاري (١١٥/٤) ومسلم (١٨١/٦) وأبو نعيم (ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

(٤٣) كذا الأصل، ولعل الصواب (قَصَّر). وهكذا على الصواب وقع في المطبوعة.

٣٦ ـ ومنها أن الله تعالى نزّل أمّته منزل العدول من الحكام، فإن الله تعالى إذا حكم بين العباد فجحدت الأمم بتبليغ الرسالة أحضر أمّةَ محمد ﷺ فيشهدون على الناس بأن رسلهم أبلغتهم (٤٤)، وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء.

---

(٤٤) يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك وأقل، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه، فيقال: هل بلّغكم؟ فيقولون: لا. فيقال: من شهد لك؟ فيقول محمد وأمته. فتدعى أمة محمد فيقال هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا بذلك أن الرسل قد بلغوا، فصدقناه. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وَسَطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾.

أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٤) وغيره باسناد صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجه البخاري مختصرا، وهو مخرج في «الصحيحة» (٢٤٤٨)، ولم يعزه إليهما السيوطي في الخصائص» (٣/٢٥١) وإنما لأحمد والنسائي والبيهقي، وقد نقل هذه الفقرة عن المؤلف.

٣٧ ـ ومثلها عصمة أمَّتِهِ بأنها لا تجتمع على ضلالةٍ ، (٤٥) في فرعٍ ولا في أصل.

٣٨ ـ ومثلها حفظ كتابه ، فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يزيدوا فيه كلمة ، أو ينقصوا منه لعجزوا عن ذلك ، ولا يخفى ما وقع من التبديل في التوراة والإنجيل.

٣٩ ـ ومنها أن الله ستر على من لم يتقبل عمله من أمَّتِهِ ، وكان من قبلهم يقرِّبون القرابين ، فتأكل النار ما تقبل منها ، وتدع ما لم يتقبَّل ، فيصبح مفتضحاً (٤٦) ولمثل ذلك قال الله :

---

(٤٥) يشير إلى قوله ﷺ :

« لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبداً ، ويد الله على الجماعة ».

أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما بسند صحيح ، وله شاهد من حديث ابن عمر وغيره ، أخرجها ابن أبي عاصم في « السنة » (رقم ٨٠ ـ ٨٥ ظلال الجنة) ، وقد تكلمت على أسانيدها هناك وفي « المشكاة ». برقم (١٧٣ و١٧٤).

(٤٦) قلت يشير إلى ما جاء في المأثور عن السلف ، في تفسير قوله تعالى : ﴿واتْلُ عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال : لأقتلنك قال : إنما يتقبل الله من المتقين﴾ (المائدة/٢٧).

....

= روى ابن جرير في «التفسير» (١٠/٢٠٦/١١٧١٥) وفي «التاريخ» (١/٦٨ و٦٩) عن ابن عباس وعن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ.

أنه كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، حتى ولد له ابنان يقال لهما: قابيل وهابيل. وكان قابيل صاحب زرع، وكان هابيل صاحب ضرع... فلما قرَّبا قرب هابيل جذعة سمينة، وقرب قابيل حزمة سنبل،... فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك. فقال هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين».

قلت: وإسناده جيد، ورجاله ثقات رجال مسلم.

ثم روى ابن جرير (١١٧٠٦) من طريق ابن عباس وحده نحوه و(١١٧٠٩ و١١٧١٣) عن مجاهد وعطية قولهما نحوه. ورواه ابن ابي حاتم من طريق ثالث عن ابن عباس مختصراً ليس فيه ذكر النار. وقال الحافظ ابن كثير:

«إسناد جيد».

وتابعه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/٢٧٣).

= هذا ولم أجد في معنى هذه الآثار حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وقد أشار إليها السيد رشيد رضا في «تفسير المنار» ثم قال (٦/٣٤٢):

«وهذه أخبار إسرائيلية، اختلفت الروايات فيها عن مفسري السلف، بعضها يوافق ما عند اليهود في سفر التكوين، وبعضها يخالفه، وليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ يعول عليه».

قلت: لكن يمكن أن يقال: إن موضع الشاهد منها في حكم المرفوع؛ لاتفاق الصحابة وغيرهم عليه، ولذلك عزاه ابن كثير في «التاريخ» (١/٩٢) لأئمة السلف، وكأنه لذلك جزم به المؤلف، وقد حكى الله تعالى عن اليهود ما يدل على أنه كان من المعروف عندهم قصة النار هذه، فقال تعالى فيهم ﴿الذين قالوا: إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسولٍ حتى يأتينا بقربان تأكله النار. قل: قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾. (آل عمران/١٨٣).

فقوله تعالى ﴿وبالذي قلتم﴾ صريح بأن الأنبياء كانوا يقدمون إلى بني إسرائيل آيات بينات على صدقهم، منها هذه النار التي تأكل القرابين. فهو شاهد قوي في الجملة لقصة =

﴿وَما أرسلناك إلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1] وقال ﷺ : « إنما أنا رحمة مهداةٌ »[47] « أنا نبي الرحمة ».[48]

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧

= هابيل . والله أعلم .

ومن ذلك ما جاء في بعض طرق الحديث الآتي قريبا بلفظ :

« أعطيت خمساً .... » ، ففيه من حديث ابن عباس .

« وكان الأنبياء يعزلون الخمس فتجيء النار فتأكله » .

رواه البخاري في « تاريخه » والبزار والبيهقي وأبو نعيم كما في « الخصائص » للسيوطي (٣/١٣٤) ولم يتكلم عليه كعادته ، وهو عند أحمد (١/٣٠١) ، لكن ليس فيه موضع الشاهد ، لكن رواه من حديث ابن عمر بلفظ :

« وكان من قبلي يعظمون أكلها ، وكانوا يحرقونها » .

وسنده حسن ، وهو مخرج في « الإرواء » (٢٨٥) .

(٤٧) حديث صحيح أخرجه الحاكم وغيره من حديث أبي هريرة وغيره ، وهو مخرج في « الأحاديث الصحيحة » (٤٩٠) و« المشكاة » (٥٨٠٠) و« غاية المرام في تخريج الحلال والحرام » (الحديث الأول) .

(٤٨) هو طرف من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله =

٤٠ - ومنها أنه بعث بجوامع الكلم، واختصر له الحَديث اختصاراً،[٤٩] وفاق العَرَب في فصاحته وبلاغته.

= عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال:

« أنا محمد، وأحمد، والمقَفّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة». أخرجه مسلم (٧/ ٩٠) وغيره، وهو مخرج في «الروض النضير» رقم (٤٠١ و١٠١٧)، وانظر «صحيح الجامع الصغير» (١٤٨٦).

(٤٩) هو من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصارا»..

وإسناده ضعيف كما كنت بينته في «الأحاديث الضعيفة» رقم (٢٨٦٤)، ولذلكَ أوردته في «ضعيف الجامع الصغير» (١٠٤٨)، لكن في معناه قوله ﷺ:

«أعطيت فواتح الكلم، وجوامعه وخواتمه».

وهو حديث صحيح، روي من حديث أبي موسى، وابن عمر، وغيرهما، ولذلك خرجته في الأحاديث «الصحيحة» (١٤٨٣)، وأصله في «الصحيحين» وغيرهما بلفظ:

«بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم أتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي».

٤١ - وكما فضّله الله على أنبيائه ورسله من البشر فكذلك فضله على من اصطفاه من رسله من أهل السماء وملائكته، لكن أفاضل البشر أفضل من الملائكة لقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾[1]. والملائكة من جملة البرية؛ لأن (البرية) مأخوذة من (برأ الله الخلق) أي اخترعه وأوجده، ولا تدخل الملائكة في قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، مع أنهم قد آمنوا وعملوا الصالحات، لأن هذه اللفظة تختص بعرف الإستعمال بمن آمن من البشر، بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام عند الإطلاق. فإن قيل: البرية مأخوذة من (البرا) وهو التراب، والبشر مخلوق من التراب لكأنه قال: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البشر. فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن أئمة اللغة قد عددوا البرية في جملة ما تركت العرب همزهُ.

والوجه الثاني وهو الأظهر: أن نافعاً قرأ بالهمز، وكلا

---

(١) سورة البيّنة: ٧.

أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وعن كل الصحابة أجمعين.

القراءتين[٥٠] كلام الله ، فإن كانت إحدى القراءتين قد فضّلت الذين آمنوا على سائر البشر ، فقد فضلتهم في القراءة الأخرى على سائر الخلق . وإذا ثبت أن أفاضل البشر أفضل من الملائكة ، فالأنبياء صلوات الله عليهم أفضل الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدليل قوله تعالى بعد ذكر جماعة من الأنبياء : ﴿وكلاً فضلنا على العالَمين﴾[١] فدلت هذه الآية على أنهم أفضل البشر وأفضل من الملائكة ؛ لأن الملائكة من (العالَمين) سواء كان مشتقاً من العلم أو من العلامة ، وإذا كانت الأنبياء أفضلَ من الملائكة فرسول الله ﷺ أفضلُ الأنبياء ، فقد ساد ساداتِ

---

(١) سورة الأنعام : ٨٦ .

---

(٥٠) الأصل (القراءتان) ، وعلى الصواب وقع في المطبوعة .

انتهى التعليق على هذه الرسالة المباركة إن شاء الله تعالى نهار الخميس الواقع في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٤٠١ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة، وأزكى التحية .

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك .

بيروت .

محمد ناصر الدين الألباني

الملائكة ، فصار أفضل من الملائكة بدرجتين ، وأعلا منهم بزتبتين ، لا يعلم قدر تلك الرتبتين وشرف تلك الدرجتين إلاّ من فضّل خاتم النبيين ، وسيّد المرسلين على جميع العالمين.

وهذه لمع وإشارات يكتفي العاقل الفطن بمثلها بل ببعضها .

ونحن نسئل الله تعالى بمنه وكرمه أن يوفقنا لاتباع رسوله في سننه وطريقته ، وجميع أخلاقه الظاهرة والباطنة ، وأن يجعلنا من أحزابه وأنصاره ، إنه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً .

آخر « بداية السول في تفضيل الرسول » والحمد لله وحده .

فهرس

الموضوع	الصفحة

---

(١) وضعت هذا الفهرس، تسهيلاً للقارىء الكريم، ذكرت فيه رؤوس المسائل في الأصل والتخريج - زهير -.